﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [المجادلة: 12]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مُناجي النَّبيِّ لا يَنبَغي لَهُ أنْ يتعلَّقَ بالدُّنيا

لمّا نهى تعالى عمّا يَحزُنُ مِنَ المَقالِ والمَقام، وكانَ المَنْهيُّ عنهُ مِنَ التَّناجي إنَّما هو لحفظِ قلبِ الرَّسولِ ﷺ عمّا يُكَدِّرُهُ، فهو مُنصرفٌ إلى مُناجاتِهم غيرَهُ، وذلكَ يُفهِمُ أنَّ مناجاتَهم لهُ ﷺ لا حرجَ فيها، وقد أكثروا في ذلكَ حتَّى شقَّ عليهِ أمَرَ مَنْ أرادَ أنْ يُناجيَهُ بالتَّصدُّقِ ليكونَ ذلكَ أمارةً على الاجتهادِ في التَّخلُّقِ بأخلاقِهِ ﷺ الطّاهرةِ، مِنَ العُزوفِ عن الدُّنيا والإقبالِ على اللّهِ[1].

استيفاءُ أنواعِ النَّجوى المَحمودةِ والمَذمومة

ثمَّ إنَّ الآيةَ قد ذُكِرَتْ عَقِبَ آياتِ النَّجْوى السّابقةِ لاستيفاءِ أنواعِ النَّجوى المحمودةِ والمذمومة[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَدَقَةٗۚ﴾: (صدق) أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا وغيرَهُ، ومِنْ ذلكَ الصِّدقُ، وهو خلافُ الكذبِ، سُمّيَ بذلكَ؛ لقوَّتِهِ في نفسِهِ، ولأنَّ الكذبَ لا قوَّةَ لهُ، فهو باطلٌ. والصَّداقُ: مهرُ المرأةِ، سُمّيَ بذلكَ لقوَّتِهِ وأنَّهُ حقٌّ يلزمُ[3]، والصَّدقةُ: ما يُخرِجُهُ الإنسانُ مِنْ مالِهِ على وجهِ القُربةِ[4]. وهو المرادُ هنا.

2) ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾: (طهر) أصلٌ يدلُّ على نَقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ[5]، ومِنْ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 379 - 380.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 42.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (صدق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (طهر).

ذلكَ: الطُّهْرُ، وهو خلافُ الدَّنَسِ، والتَّطهُّرُ: التَّنزُّهُ عنِ الذَّمِّ وكلِّ قبيحٍ[1]، والطَّهارةُ: النَّظافةُ والمبالغةُ فيها[2]، والطَّهارةُ ضربانِ: طهارةُ جسمٍ حِسّيَّةٌ، وطهارةُ نفسٍ معنويَّةٌ[3]. ومعنى ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ هنا: وأزكى[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ اللّهُ تعالى عبادَهُ المؤمنينَ بأدبٍ مِنْ آدابِ مُناجاةِ النَّبيِّ ﷺ، فيقولُ: يا أيُّها الَّذينَ صدَّقوا اللّهَ ورسولَهُ، إذا ناجيتُمْ رسولَ اللّهِ فقدِّموا قبلَ نَجْواكم صدقةً تتصدَّقون بها على أهلِ المَسكَنةِ والحاجةِ؛ لأنَّ هذهِ الصّدقةَ تُطَهِّرُ نُفوسَكم وتُبعِدُها عن البخلِ والشُّحِّ، فهي خيرٌ لكم في دينِكم، فإنْ لم تجدوا ما تتصدَّقونَ بهِ فإنَّ اللّهَ تعالى يَتَجاوزُ عنكم[5].

يُناجي النَّبيَّ أصحابُ الخيرِ والقلوبِ المُطَهَّرةِ مِنْ حبِّ الدُّنيا

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنفٌ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ لا علاقةَ له بما قبلَهُ مِن التَّفسُّحِ في المجالسِ، وهو ذكرُ بعضِ أحوالِ النَّجوى، وهو التَّصدُّقُ قبلَ مناجاتِهِ ﷺ، وهو مِنْ أحوالِها المحمودةِ[6].

مُناجاةُ النَّبيِّ مع الصَّدقةِ محمودةٌ

سرُّ تكرارِ النِّداءِ في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

افتُتِحَ قولُ الحقِّ تعالى ذكرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ بالنِّداءِ مع تقدُّمِهِ قبلَ

اشتراطُ الصَّدقةِ في مُناجاةِ النَّبيِّ حُكمٌ مُهِمٌّ يَستَدعي الانتِباه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزمخشري، أساس البلاغة: (طهر).
(2) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (طهر).
(3) الرّاغب، المفردات: (طهر).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 18.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 247، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 49.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 42.

ذلكَ في قولِهِ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 9]، وقولِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ [المجادلة: 11]؛ لإيقاظِ المخاطَبينَ وتنبيههم على أهمّيَّةِ ما يَعقُبُهُ مِنَ الكلامِ، وللإشارةِ إلى أنَّهُ كلامٌ مستقلٌّ غيرُ تابعٍ لِما قبلَهُ، يستدعي كمالَ التَّنبُّهِ، ولذلكَ جيءَ بأداةِ النِّداءِ للبعيدِ (يا)، واقترَنَ المنادى بـ(ها) التَّنبيهِ.

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾:

حُذِفَ متعلَّقُ الإيمانِ في قولِهِ ﷻ: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ إيجازًا؛ لظهورِهِ؛ إذ المرادُ الإيمانُ باللهِ ورسولِهِ وبكلِّ ما يجبُ الإيمانُ بِهِ.

الإيمانُ بكلِّ ما يجبُ الإيمانُ بِهِ حِلْيةُ المؤمن

بلاغةُ التَّعبيرِ بالشَّرطِ في ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾:

جيءَ بأسلوبِ الشَّرطِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾؛ للدَّلالةِ على الارتباطِ بينَ مناجاةِ النَّبيِّ ﷺ وبينَ تقديمِ الصَّدقةِ قبلَها، وعلى أنَّ التَّصدُّقَ مطلوبٌ كلَّما أُريدتِ المناجاةُ، فلا ينبغي لمريدِ المناجاةِ أنْ يخالفَ هذا الشَّرطَ. ولكنَّ هذا الحكمَ لم يَدُمْ طويلًا، فلم يقعِ التَّصدُّقُ إلّا مِنْ رجلٍ واحدٍ، وهو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، ثمَّ نُسِخَ الحكمُ[1].

لا يَجوزُ لمُريدِ المُناجاةِ تركُ التَّصدُّقِ

نكتةُ إيثارِ ﴿إِذَا﴾ على (إنْ):

أوثِرَتْ ﴿إِذَا﴾ على (إنْ) في قولِهِ ﷻ: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾، مع أنَّ كلًّا منهما للشَّرطِ في المستقبلِ؛ لأنَّ (إذا) تُستعمَلُ في الأمرِ المقطوعِ بِهِ، و(إنْ) تُستعمَلُ في الأمرِ النّادرِ المشكوكِ فيهِ، ورغبةُ المؤمنينَ في مناجاةِ النَّبيِّ ﷺ أمرٌ مقطوعٌ به، وهو كثيرُ الحصولِ، وهذا يُثقِلُ عليهِ[2]، ولذلكَ اشتُرِطَ لهُ التَّصدُّقُ.

كثرةُ رغبةِ المؤمنينَ في مُناجاةِ النَّبيِّ ﷺ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 495 - 496.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 279.

دلالةُ صيغةِ الماضي في ﴿نَجَيْتُمْ﴾:

الفعلُ ﴿نَجَيْتُمْ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ مُستعمَلٌ في معنى إرادةِ الفعلِ؛ أي: إذا أردتُم أنْ تُناجوا، والقرينةُ قولُهُ: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[1].

إرادةُ المؤمنينَ التَّناجيَ بمنزلةِ الحاصِلِ

وعُبِّرَ بصيغةِ الماضي؛ لأنَّ (إذا) تُستعمَلُ في الأمرِ المقطوعِ بهِ كما تقدَّمَ، والماضي أقربُ إلى القطعِ بالنَّظرِ إلى لفظِهِ وإنْ كانَ معناهُ على الاستقبالِ؛ لأنَّ (إذا) تقلبُ الماضيَ إلى المستقبلِ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ إرادتَهم التَّناجيَ بمنزلةِ الحاصلِ.

وجهُ صيغةِ التَّفاعُلِ في ﴿نَجَيْتُمْ﴾:

جيءَ بصيغةِ التَّفاعُلِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ لأنَّ التَّناجيَ أمرٌ مشتركٌ بينَ طرفينِ، كلٌّ منهما يُناجي الآخرَ.

التَّناجي أمرٌ مُشتركٌ بينَ طرَفَين

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلرَّسُولَ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ بهِ نبيٌّ معهودٌ معروفٌ، وهو نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، وهذا الحكمُ مختصٌّ بهِ، شُرِعَ ثمَّ نُسِخَ.

التَّصدُّقُ قبلَ المُناجاةِ حكمٌ خاصٌّ بنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ التَّعريفُ للجنسِ المحمولِ على الفردِ الكاملِ مبالغةً؛ أي: إذا ناجيتم الرَّسولَ الكاملَ الَّذي لا أكملَ منهُ في الرُّسليَّةِ؛ فهو أكملُ الخلقِ، ووظيفتُهُ تقتضي أنْ يكونَ منهُ الكلامُ بما أرسلَهُ اللهُ بهِ، وتكونَ هيبتُهُ مانعةً مِن ابتدائِهِ بالكلامِ، فلا يكونُ مِنَ المبلَّغينَ إلّا الفعلُ بالامتثالِ لا غيرُ[2].

كمالُ رسولِنا ﷺ في مَقامِ الرِّسالة

نكتةُ الإيجازِ في ﴿نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾:

في قولِهِ تعالى: ﴿إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ إيجازٌ بحذفِ المتناجَى بهِ، والتَّقديرُ: إذا ناجيتم الرَّسولَ ببعضِ شؤونِكم المُهِمَّةِ الدّاعيةِ

المُتناجَى بِهِ عامٌّ لكلِّ شأنٍ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 380، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 44.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 380.

إلى مُناجاتِهِ ﷺ[1]، والحذفُ لإفادةِ التَّعميمِ، ودفعِ توهُّمِ إرادةِ أمرٍ خاصٍّ.

معنى الفاءِ في ﴿فَقَدِّمُوا﴾:

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ[2]، والغرضُ منها تقويةُ الارتباطِ بينَ جوابِ الشَّرطِ وفعلِهِ، وبيانُ أنَّ الجوابَ مُسبَّبٌ عن فعلِ الشَّرطِ[3].

تقديمُ الصَّدقةِ مُسبَّبٌ عن إرادةِ المُناجاةِ

دلالةُ الأمرِ في ﴿فَقَدِّمُوا﴾:

ظاهرُ قولِهِ تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ يدلُّ على أنَّ تقديمَ الصَّدقةِ كانَ واجبًا؛ لأنَّ الأمرَ للوجوبِ، ويتأكَّدُ ذلكَ بقولِهِ تعالى في آخرِ الآيةِ: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ فإنَّ ذلكَ لا يقالُ إلّا فيما يَزولُ وجوبُهُ بفَقْدِهِ[4].

تقديمُ الصَّدقةِ قبلَ المُناجاةِ واجبٌ

وفي هذا الأمرِ تعظيمُ الرَّسولِ، ونفعُ الفقراءِ، والنَّهيُ عن الإفراطِ في السُّؤالِ، والمَيْزُ بينَ المُخلِصِ والمُنافقِ، ومُحبِّ الآخرةِ ومُحبِّ الدُّنيا، وهو منسوخٌ بقولِهِ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية، وهو وإنِ اتَّصلَ بهِ تلاوةً لم يتَّصلْ بهِ نزولًا[5].

علَّةُ تقديمِ ﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾:

قُدِّمَ ﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ على المفعولِ ﴿صَدَقَةً﴾؛ للعنايةِ بكونِ تقديمِ الصَّدقةِ قبلَ التَّناجي، والتأكيدِ لهُ، وفي ذلكَ تحذيرٌ لمَنْ يخالفُ هذا الحكمَ.

تحذيرُ مَنْ لا يُقدِّمُ الصَّدقةَ قبلَ التَّناجي

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ معناهُ: قبلَ نجواكم، وفيهِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 220.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 23.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 380.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 495، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 275.
(5) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 195، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221.

استعارةٌ تمثيليَّةٌ، جرَتْ مَجْرى المَثَلِ للقُرْبِ مِنَ الشَّيءِ قُبيلَ الوصولِ إليهِ، شُبِّهَتْ هيئةُ قُرْبِ الشَّيءِ مِنْ آخرَ بهيئةِ وصولِ الشَّخصِ بينَ يدَيْ مَنْ يَرِدُ هو عليهِ، تشبيهَ معقولٍ بمحسوسٍ(1)، حيث شُبِّهَتْ هيئةُ قُرْبِ الصَّدقةِ مِن النَّجوى بهيئةِ شخصٍ يَرِدُ بينَ يَدَي شخصٍ آخرَ، وهي كثيرةُ الاستعمالِ جاريةٌ مَجْرى المَثَلِ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: 57]؛ أي: قبلَ رحمتِهِ.

تشبيهُ هيئةِ قُرْبِ الشَّيءِ مِنْ آخرَ بهيئةِ وصولِ الشَّخصِ بينَ يَدَيْ آخَر

أو هي استعارةٌ مكنيَّةٌ، بتشبيهِ النَّجوى بالإنسانِ، وإثباتُ اليدينِ تخييلٌ، وفي قوله: ﴿بَيْنَ﴾ ترشيحٌ، ومعناه: قبلَ(2).

تشبيهُ النَّجوى بالإنسان

غرضُ الإضافةِ في ﴿نَجْوَىٰكُمْ﴾:

الإضافةُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿نَجْوَىٰكُمْ﴾ بمعنى اللّامِ، فتفيدُ أنَّ المُناجيَ المُتصدِّقَ إنَّما يتصدَّقُ لأجلِ فائدةِ نفسِهِ.

المُتصدِّقُ يَتصدَّقُ لأجلِ فائدتِه

نكتةُ تنكيرِ ﴿صَدَقَةً﴾:

تنكيرُ ﴿صَدَقَةً﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ للإفرادِ؛ أي: فَرْدًا مِنْ أفرادِ الصَّدقةِ على حسَبِ حالِ المُتصدِّقِ، وفي ذلكَ تيسيرٌ عليهم، وقد تصدَّقَ عليٌّ رضي الله عنه بدينارٍ، ثمَّ نَزَلتِ الرُّخصةُ، ولم يَعمَلْ بالآيةِ غيرُهُ(3).

المطلوبُ مِنَ المُناجي صدقةٌ مِنَ الصَّدقاتِ

علَّةُ فصلِ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ(4)؛ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ، وهو التَّعريفُ بحكمةِ الأمرِ بالصَّدقةِ قبلَ مُناجاةِ الرَّسولِ ﷺ؛ ليَرغَبَ فيها الرّاغبونَ(5).

بيانُ حِكمةِ التَّصدُّقِ بعدَ الأمرِ بِهِ

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 171، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 44.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 171، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 508.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 496.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ في ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾:

خيريَّةُ تقديمِ الصَّدقةِ وطهوريَّتُهُ حقيقةٌ ثابتةٌ

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ خيريَّةَ التَّصدُّقِ وطهوريَّتَهُ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ.

نكتةُ إيثارِ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

تقديمُ الصَّدقةِ عظيمُ الشَّأنِ

الإشارةُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ للتَّقديمِ المفهومِ مِنْ قولِهِ: ﴿فَقَدِّمُواْ﴾[1]. وفي التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ إشارةٌ إلى تفخيمِ شأنِهِ وتعظيمِهِ، وبيانِ أنَّهُ عملٌ رفيعٌ جدًّا[2]، كيفَ لا وهو برهانٌ على صدقِ الإيمانِ، وإيثارِ الآخرةِ على الدُّنيا؟!

نكتةُ التَّعبيرِ بالخيريَّةِ:

التَّصدُّقُ أنفعُ للعبدِ في دينِهِ مِنَ الإمساكِ

عُبِّرَ بالخيريَّةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾؛ لأنَّ التَّصدُّقَ خيرٌ لهم في دينِهم مِنَ الإمساكِ عن الصَّدقةِ[3]، وذلكَ لِما فيهِ مِنْ مضاعفةِ الأجرِ والثَّوابِ، والقيامِ بحقِّ الإخاءِ، بالعَودِ على ذوي المسكنةِ بالمواساةِ والإغناءِ[4].

دلالةُ ﴿خَيۡرٞ﴾ بينَ التَّفضيلِ وعدمِهِ:

في التَّصدُّقِ خيرٌ بكلِّ الأحوالِ

﴿خَيۡرٞ﴾ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ اسمَ تفضيلٍ، أصلُهُ: (أخيَرُ)، وهو المزاوجُ لقولِهِ: ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾؛ أي: ذلكَ أشدُّ خيريَّةً لكم مِنْ أنْ تُناجوا الرَّسولَ ﷺ من دونِ تقديمِ صدقةٍ، وإنْ كانَ في كلٍّ خيرٌ.

ويجوزُ أنْ يكونَ اسمًا على وزنِ (فَعْلٍ)، والمعنى: تقديمُ الصَّدقةِ قبلَ النَّجوى فيهِ خيرٌ لكم، وهو تحصيلُ رِضا اللهِ تعالى في حينِ

(1) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 450، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(4) القاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 174.

إقبالِهم على رسولِهِ ﷺ، فيحصلُ مِنَ الانتفاعِ بالمناجاةِ ما لا يحصلُ مِثْلُهُ مِن دونِ تقديمِ الصَّدقةِ[1].

معنى اللّامِ في ﴿لَّكُمْ﴾:

اللهُ تعالى غنيٌّ عن عبادِه

اللّامُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ للاختصاصِ على تقدير ﴿خَيْرٌ﴾ اسمًا لا للتَّفضيلِ؛ أي: ذلكَ خيرٌ لكم مختصٌّ بكم، فتفيدُ أنَّ منفعةَ الخيريَّةِ مختصَّةٌ بهم؛ لتقديمِهم الصَّدقةَ. وعلى تقديرِ ﴿خَيْرٌ﴾ اسمَ تفضيلٍ تكونُ اللّامُ للتَّعليل؛ أي: ذلك أشدُّ خيريَّةً لأجلِكم وأطهرُ، فتفيدُ أنَّ منفعةَ الخيريَّةِ والطَّهارةِ راجعةٌ لهم ولأجلِهم، لا إلى اللهِ تعالى؛ فاللهُ تعالى غنيٌّ عن عبادِهِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالطَّهارةِ:

الصَّدقةُ تزكيةٌ للنَّفسِ وزيادةٌ في كلِّ خيرٍ

عُبِّرَ بالطَّهارةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ لأنَّ الصَّدقةَ تطهيرٌ لهم مِنَ الرّيبةِ وحبِّ المالِ والبخلِ والشُّحِّ[2]، وفيها نماءٌ وزيادةٌ في كلِّ خيرٍ[3]، وكأنَّ الأمرَ بالتَّصدُّقِ المذكورِ ليتميَّزَ المؤمنُ مِنَ المنافقِ؛ فإنَّ المؤمنَ تسخو نفسُهُ بالإيمانِ كيفَما كانَ، والمنافقَ يَغُصُّ بهِ ولو في أضرِّ الأوقاتِ[4].

سرُّ التَّعبيرِ بالتَّفضيلِ في ﴿وَأَطْهَرُ﴾:

المؤمنُ مُطهَّرٌ بالإيمانِ والعملِ الصّالح

جيءَ بالتَّفضيلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَطْهَرُ﴾؛ لأنَّهم مُطهَّرونَ قبلَهُ بالإيمانِ[5]. والطُّهْرُ هنا معنويٌّ، وهو طُهْرُ النَّفسِ؛ لأنَّ المتصدِّقَ تتوجَّهُ إليهِ أنوارٌ ربّانيَّةٌ مِنْ رِضا اللهِ عنهُ، فتكونُ نفسُهُ زكيَّةً[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 195، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(4) القاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 174.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾:

لا يُكلِّفُ اللهُ نفسًا إلّا وُسْعَها

الفاءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ عاطفةٌ، والغرضُ مِنْ هذا العطفِ بيانُ عُذرِ العاجزينَ عن تقديمِ الصَّدقةِ؛ لأنَّ اللّهَ تعالى لا يُكلِّفُ الإنسانَ ما لا يطيقُ[1].

علَّةُ إيثارِ (إنْ) على (إذا):

تَحرّي ما يُتَصَدَّقُ بِهِ قبلَ النَّاجي مطلوبٌ

عُبِّرَ بـ(إنْ) في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾؛ لأنَّها تُستعمَلُ في الأمرِ المشكوكِ فيهِ، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى أنَّ عدمَ وِجْدانِ ما يُتصدَّقُ بِهِ - ولو كانَ يسيرًا - أمرٌ نادرٌ، فعلى المؤمنِ أنْ يَبذُلَ غايةَ الوُسْعِ في تحرّي ما يَتَصدَّقُ بِهِ قبلَ المناجاةِ.

لا حُدودَ لسَعَةِ فضلِ اللهِ تعالى

ويمكنُ أنْ يكونَ المرادُ التَّنبيهَ على مغفرةِ اللّهِ ورحمتِهِ إذا كانَ عدمُ الوِجْدانِ في حيِّزِ التَّردُّدِ والشَّكِّ، فكيفَ إذا كانَ مُحقَّقَ الوقوعِ؟! وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ التَّنبيهِ على سَعَةِ فضلِ اللّهِ ولُطْفِهِ بعبادِهِ.

نكتةُ الإيجازِ في ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾:

لا حَرَجَ على مَنْ لم يَجِدْ ما يَتَصدَّقُ بِهِ قبلَ المُناجاة

في قولِهِ ﷻ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ إيجازٌ بحذفِ المفعولِ؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ؛ أي: فإنْ لم تجدوا ما تَتَصدَّقونَ بِهِ أمامَ مُناجاتِكم الرَّسولَ ﷺ[2].

دلالةُ الفاءِ في جُملةِ الفاصِلة:

لا تَثْريبَ على الفقير

الفاءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ المتقدِّم؛ أي: فإنْ لم تَجِدوا ما تَتَصدَّقون به قبلَ النَّجوى غفرَ اللّه لكم المغفرةَ الَّتي كانت تحصُلُ لكم لو تَصَدَّقتُم[3].

ويجوزُ أن تكونَ الفاءُ استئنافيَّةً لتعليلِ جوابِ الشَّرطِ المحذوفِ،

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 450، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 174.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45.

والتَّقدير: فلا تثريبَ عليكم؛ لأنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ[1]، وبناءً على ذلكَ يكونُ في الكلامِ إيجازٌ بحذفِ جوابِ الشَّرطِ، والمذكورُ هو دليلٌ عليهِ وتعليلٌ لهُ.

غرضُ تأكيدِ جملةِ الفاصِلة:

الـكـريـمُ إذا أعطَى أذْهَش

أُكِّدَ قولُهُ ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بـ(إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ لاستبعادِ مثلِهِ في مَوازينِ البشرِ؛ فإنَّ المعهودَ مِنَ المَلِكِ إذا ألزَمَ رعيَّتَهُ بشيءٍ أنَّهُ لا يُسقِطُهُ أصلًا ورأسًا، ولا سيَّما إنْ كانَ يسيرًا[2]، فأُكِّدَ الكلامُ لبيانِ أنَّ الخالقَ ﷻ منزَّهٌ عن صفاتِ المخلوقينَ، وللاعتناءِ بمضمونِهِ.

سرُّ إيثارِ اسمِ الجلالةِ:

العظيمُ يُسقِطُ الإيجابَ عمَّنْ يَشاء

أوثِرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لدلالتِهِ على جميعِ صفاتِ الكمالِ[3]، ومنها ما ذُكِرَ هنا مِنَ المغفرةِ والرَّحمةِ، ومنها أنَّهُ سبحانَهُ لا مُعَقِّبَ لحُكمِهِ، ولذلكَ يُسقِطُ الإيجابَ عمَّنْ يشاءُ.

وجهُ التَّعبيرِ بالمغفرةِ والرَّحمةِ:

اللـهُ يُعامِلُ العبادَ بفَضْلِهِ لا بعَدْلِه

جيءَ بالمغفرةِ والرَّحمةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ إسقاطَ إيجابِ التَّصدُّقِ عمَّنْ لم يَجِدْ ما يَتَصدَّقُ بهِ أثَرٌ مِنْ آثارِ رحمةِ اللَّهِ تعالى ومغفرتِهِ؛ إذ لم يُحرِجْهُ ولم يُضيِّقْ عليهِ[4]، بل مَنْ نوى أنْ يفعلَ الخيرَ لو قَدَرَ عليهِ كانَ لهُ أجرٌ على نيَّتِهِ، ورحمةُ اللَّهِ تنفعُ مَنْ فاتَهُ تزكيةُ النَّفسِ بالتَّصدُّقِ[5].

دلالةُ صيغتَيْ (فَعولٍ) و(فَعيلٍ) في ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

شِدَّةُ رحمةِ اللهِ تعالى ومغفرتِه

جيءَ بصيغتَيْ (فَعولٍ)، و(فَعيلٍ) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿غَفُورٌ

(1) محيي الدين درويش: إعراب القرآن وبيانه: 10/ 23.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381 - 382.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.
(4) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 450، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 174.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 45 - 46.

﴿رَّحِيمٌ﴾؛ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ تعالى بالمغفرةِ والرَّحمةِ؛ أي: شديدُ المغفرةِ والرَّحمةِ.

غرضُ تقديمِ ﴿غَفُورٌ﴾ على ﴿رَّحِيمٌ﴾:

المغفرةُ أثرٌ مِنْ آثارِ الرَّحمة

قُدِّمَ ﴿غَفُورٌ﴾ على ﴿رَّحِيمٌ﴾؛ لأنَّ المغفرةَ مِنْ آثارِ الرَّحمةِ، فيكونُ ذلكَ مِنْ تقديمِ المسبَّبِ على السَّببِ، ولِما في تأخيرِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ مِنْ مراعاةِ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لفاصلةِ ما قبلَها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّدقةُ والزَّكاةُ:

الصَّدقةُ برهانٌ على الصِّدقِ في دَعوى الإيمان

الصَّدقةُ: ما يُخرجُهُ الإنسانُ مِنْ مالِهِ على وجهِ القُربةِ كالزَّكاةِ، لكنَّ الصَّدقةَ في الأصلِ تقالُ للمتطوَّعِ بهِ، والزَّكاةَ للواجبِ، وقد يُسمَّى الواجبُ صدقةً إذا تحرَّى صاحبُهُ الصِّدقَ في فعلِهِ[1].

وقد عُبِّرَ بالصَّدقةِ هنا؛ للدَّلالةِ على أنَّها تكونُ برهانًا قاطعًا على إخلاصِ المتصدِّقِ، فهي مصدِّقةٌ لهُ في دعوى الإيمانِ الَّتي هي التَّصديقُ باللهِ تعالى ورسولِهِ عليهِ ﷺ، وبكلِّ ما جاءَ بهِ عن اللهِ تعالى، ومعظمُهُ الإعراضُ عن الدُّنيا، والإقبالُ على الآخرةِ[2]، ولأنَّ الزَّكاةَ علَمٌ خاصٌّ بالفريضةِ الَّتي هي ركنٌ مِنْ أركانِ الإسلامِ.

(1) الرّاغب المفردات: (صدق)، وزيدان، الفروق اللغوية، ص: 229.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 381.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"